

دلالة آية الثلاثين من سورة البقرة على وجود الحجة و الخليفة لله على وجه الأرض الى يوم القيامة

اثبات استمرار نصب حجة الله بدلائل ادبية و روائية

مقدمة:

من أهم الآيات التي تبين ضرورة وجود حجة الله على وجه الارض و رأى الشيعة فى وجود الامام المهدي عج، خليفة و حجة لله، هى آية الثلاثين من سورة البقرة. كثير من المفسرين عند اهل السنة، اعترفوا باستعانة دلالة الكلمات و الالفاظ من هذه الآية الشريفة و حسب الاصطلاح ظاهر هذه الآية، على استمرار الحجة و الخليفة على وجه الارض بيد الله تعالى.

هذه المقالة بصدد دراسة دلالة هذه الآية على استمرار نصب و جعل حجة و خليفة لله على وجه الأرض، حسب قواعد و قوانين ادبيات العرب ثم نقل تصريح بعض من كبار المفسرين عند الشيعة و اهل السنة، على دلالة الآية على هذا المطلوب.

دلالة الكلمات و الالفاظ من الآية على استمرار نصب و جعل الخليفة لله الى يوم القيامة

«وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»

الله تعالى يقول فى هذه الآية الشريفة«انى جاعل فى الارض خليفة». ففى هذه العبارة، استعمل كلمة «جاعل» التى حسب علم «النحو» هى اسم فاعل. هذا الاسم الفاعل استعمل هنا من دون الالف و اللام و عمل فى كلمة «خليفة» و إعرابها «النصب». حسب ادبيات العرب و تصريح علماء علم الصرف و علم النحو، كلما يذكر اسم الفاعل من دون الالف و اللام و يعمل عمل النصب، يدل على الاستمرار و بناء على هذا الآية الشريفة ايضا تدل على الاستمرار و كما بينا، حسب هذه الفقرة من الآية المباركة، يجعل الله دائما و بشكل مستمر – من زمن خلقه آدم

الى يوم القيامة - خليفة فى الارض و ببيان آخر، لن تخلوا الارض الى يوم القيامة من الحجة و الامام و كل فترة لها امام زمان يختص بها. فى استمرار هذه الآيات، الله تعالى يتكلم فى اول مصداق لهذه الخلافة و خليفة الله يعنى نبى آدم على نبينا و آله و عليه السلام و بعده بقية الأنبياء و خلفائهم، مصداق لخليفة الله.

آراء علمائ الادب العربى فى هذا المطلب

فى الاستمرار نذكر بعض آراء النحويين الذين صرحوا بدلالة اسم الفاعل على الاستمرار. اذا عرفت هذه القاعدة من القواعد العربية، يتبين ظهور هذه الآية على المطالب السالفة.

هادى نهر، فى كتابه النحو التطبيقي وفقا لمقررات النحو العربى فى المعاهد و الجامعات العربى، يقول هكذا:

«و قد أكثر النحاة فى الحديث عن سبب عمل اسم الفاعل فى أنّ كلا منهما يدلّ على الحدوث و

التجدد و الاستمرار زيادة على توافقهما فى المعنى و اللفظ الذى أشار إليه النحاة.»

نهر، هادى، النحو التطبيقي وفقا لمقررات النحو العربى فى المعاهد و الجامعات العربية، عالم الكتب

الحديث، اربد - اردن، الطبعة: الاولى، ج ٢، ص ٨٩٧.

رأى رضى الدين الاسترآبادى

كذلك رضى الدين الاستر آبادى فى شرحه على الكافية، يقول فى دلالة اسم الفاعل و اسم المفعول على

الاستمرار هكذا:

«و أمّا اسما الفاعل و المفعول، فعملهما فى مرفوع ... جائز مطلقا، سواء كانا بمعنى الماضى أو بمعنى

الحال أو بمعنى الاستقبال أو لم يكونا لأحد الأزمنة، بل كانا للإطلاق المستفاد منه الاستمرار، نحو: زيد

ضامر بطنه، و مسود وجهه، و مؤدّب خدامه.»

رضى الدين الاستر آبادى، محمد بن حسن، شرح الرضى على الكافية، ٤ مجلدات، مؤسسة الصادق

للتباعة و النشر، طهران - ايران، الطبعة: الاولى، ١٣٨٤ هـ.ش، ج ٢، ص ٢٢١.

كما تبين فيما ذكر، المرحوم الرضى يقول ان اسم الفاعل و المفعول لو ارادا عمل الرفع [اسم الذى يقع بعده يصير فاعله]، يعمل هذا العمل بشكل مطلق و يرفعا معموليهما سواء قيد بأحد الأزمنة الثلاثة - الماضى أو الحال أو الإستقبال-، على سبيل المثال يقال زيد مسود وجهه امس أو زيد مسود وجهه غدا، أو لم يقيد بأحد الأزمنة الثلاثة بل يكون مطلقا و ايضا يدل على الاستمرار؛ يعنى عند ما يقال زيد مسود وجهه، يعنى زيد دائما و بشكل مستمر وجهه أسود.

و لو ان اصل بحثه هنا، فى عمل الرفع لاسم الفاعل و المفعول لكن الشاهد لمثالنا، هذه الفقرة الأخيرة من كلماته التى تبين ان اسم الفاعل لو لم يقيد بأحد الأزمنة الثلاثة الماضى، الحال و الاستقبال، فهو مطلق و يستفاد منه الاستمرار.

اذا درسنا الآية المذكورة، يتبين ان اسم الفاعل فى هذه الآية لم يقيد بأحد الأزمنة الثلاثة الماضى، الحال و الاستقبال، فالله تعالى لم يقول «انى جاعل فى الارض خليفة الان»؛ بل قالها بشكل مطلق و بناء على هذا الآية تدل على الاستمرار و تبين انه الى يوم القيامة و بشكل مستمر، الله تعالى جعل خليفة فى الارض.

المرحوم الرضى فى موضع آخر يبحث عن عمل النصب لاسم الفاعل و هناك ايضا يصرح بهذا المطلب هكذا:

«و أمّا عمل اسمي الفاعل و المفعول، في المفعول به، و غيره من المعمولات الفعلية، فمحتاج إلى

شرط، لكونها أجنبية؛ و هو مشابهتهما للفعل معنى، و وزنا، و يحصل هذا الشرط لهما، إذا كانا بمعنى

الحال أو الاستقبال، أو الإطلاق المفيد للاستمرار.»

رضى الدين الاستر آبادى، محمد بن حسن، شرح الرضى على الكافية، ٤ مجلد، مؤسسة الصادق

للتباعة و النشر، طهران - ايران، الطبعة: الاولى، ١٣٨٤ هـ.ش، ج ٢، ص ٢٢٢.

المرحوم الرضى فى النص السابق، تكلم عن عمل الرفع لاسم الفاعل و المفعول، و عن عمل النصب لهما على سبيل المثال فى جملة «زيد ضارب عمرا» ضارب الذى هو اسم الفاعل عمل فى عمرو و نصبه. هو يقول لو كان لاسم الفاعل و المفعول عمل النصب حتى لا يكونا بمعنى الماضى بل بمعنى الحال أو الاستقبال أو يكونا مطلقين و لم يقيدا بحال أو استقبال فهذا الاطلاق يدل على الاستمرار.

يجدر بالذكر ان محل بحثنا فى الآية الشريفة ايضا، من هذا النوع و فى هذه الآية، كلمة «الجاعل» التى هى اسم فاعل عملت فى كلمة «الخليفة» و نصبتها. الحال لو كانت العبارة مقيدة بالحال أو الاستقبال لقال تعالى: «انى جاعل فى الارض خليفة الان» أو «انى جاعل فى الأرض خليفة فى الاستقبال» ففى هذه الصورة، لكان اسم الفاعل فقط بمعنى الحال أو الاستقبال لكن حسب ان الكلام كان مطلقا و لم يقيد بأى منهما، يدل على الاستمرار و هذا الاستمرار أوجب ان يعمل اسم الفاعل فى كلمة الخليفة عمل النصب. من جانب آخر على اساس كلمات المرحوم الرضى، لم يمكن ان لا يدل اسم الفاعل على الزمان؛ لأنه يعمل عمل النصب حينما يشبه الفعل و هذه الشباهة اما بمعنى الحال أو الاستقبال أو يكون مطلقا حتى يدل على الاستمرار؛ و فى غير هذه الصور الثلاث، لم يعمل اسم الفاعل عمل النصب بناء على هذا لم يستطيع احد ان يدعى عدم دلالة هذه الآية من الاساس على الزمان.

حسب ما مرّ تبين اولاً: من اجل ان فى الآية المذكورة، اسم الفاعل عمل نصبا، فلا بد ان يدل على الزمان و ثانياً: اسم الفاعل لم يقيد بحال أو استقبال و هو بشكل مطلق، فيدل على الاستمرار و يبين ان جعل الخليفة فى الأرض يدوم و له استمرار خاص.

بعض علماء اهل السنة مثل احمد بن قاسم الصباغ المصرى الفوا رسالة مستقلة تحت هذا العنوان -رسالة فى إسم الفاعل المراد به الإستمرار فى جميع الأزمنة -و قام بدراسة دلالة اسم الفاعل على الاستمرار اذا كان بصورة مطلقة، و نقل فيها هذه المطالب المذكورة عن المرحوم الرضى و بين دلالة اسم الفاعل على الاستمرار.

أحمد بن قاسم الصباغ العبادي القاهري المصري، رسالة في إسم الفاعل المراد به الإستمرار في جميع الأزمنة،
دار الفرقان للنشر والتوزيع – عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م، تحقيق: د.محمد حسن عواد.

رأى السكاكي

السكاكي النحوى و الاديب من اهل السنة ايضا، يصرح فى كتاب مفتاح العلوم هكذا:

«اسم الفاعل: كيف كان، مفردا أو مثنى أو مجموعا جمع تكسير أو تصحيح، نكرة في جميع ذلك، أو معرفة ظاهرا أو مقدرًا، مقدما أو مؤخرًا، يعمل عمل فعله المبني للفاعل، إذا كان على أحد زماني ما يجري هو عليه، و هو المضارع دون المضي أو الاستمرار.»

السكاكى، يوسف بن ابى بكر، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الاولى،

ص ١٩٧.

دلالة اسم الفاعل المنون على الاستمرار دائماً

عفيف الدمشقية يقول:

«ان اسم الفاعل «المنون» يعمل النصب دائماً و أنه في اساسه غير محدد بزمن؛ لأن فيه معنى

الاستمرار.»

الدمشقية، عفيف، خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي (الأخفش – الكوفيون)، دار العلم

للملايين – بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ص ١٤٠.

كما بيناه سالفا صرح فى النص المذكور بكم نكتة:

الأولى: ان اسم الفاعل المنون يعمل عمل النصب دائماً؛

ثانياً: الاصل و الاساس فى مثل هذا النوع من اسم الفاعل هو انه لم يكن محددًا أو مقيدًا بزمان خاص و يدل على الاستمرار. و هذا ما ذكرناه آنفاً يعنى اذا كان اسم الفاعل بشكل مطلق و لم يقيد، يدل على الاستمرار و هذا هو الاصل فى اسم الفاعل، الا ان يقيد بزمان خاص الذى فى هذه الصورة، من اجل ذلك القيد الخاص، يدل على الزمان الخاص فقط. اذا تدققنا فى الآية المذكورة «انى جاعلٌ فى الارض خليفة» يتبين بوضوح ان اسم الفاعل فى هذه الآية ايضا منون و لم يقيد بزمان خاص و بناء على هذا، من اليقين و على الاصل فى اسم الفاعل، يدل على الاستمرار فى كل الأزمنة. لابد من ذكر انه بناء على كلمات علماء النحو، الاصل فى اسم الفاعل، الدلالة على الاستمرار و هذا لا يحتاج الى دليل، بل ما يحتاج الى الدليل هو التقييد و اثبات الدلالة على زمان خاص.

تصريح كثير من المفسرين عند اهل السنة و الشيعة بدلالة هذه الآية الشريفة على استمرار نصب الخليفة و

الحجة لله تعالى

تفسير اهل السنة

١- الأوسى فى روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم

هو الذى من المفسرين عند اهل السنة و يعد تفسيره من التفاسير المفصلة عند اهل السنة، يقول فى ذيل هذه الآية المباركة هكذا:

«لكن لقصور المستخلف عليه لما أنه فى غاية الكدورة و الظلمة الجسمانية و ذاته تعالى فى غاية التقدس و المناسبة شرط فى قبول الفيض على ما جرت به العادة الإلهية فلا بد من متوسط ذي جهتي تجرد و تعلق ليستفيض من جهة و يفيض بأخرى ... و عند أهل الله تعالى المراد بالخليفة آدم و هو عليه السلام خليفة الله تعالى و أبو الخلفاء و المجلى له سبحانه و تعالى، و الجامع لصفتي جماله و جلاله، ... و به جمعت الأضداد و كملت النشأة و ظهر الحق، و لم تنزل تلك الخلافة فى الإنسان الكامل إلى قيام الساعة و ساعة القيام بل متى فارق هذا الإنسان العالم مات العالم لأنه الروح الذي به قوامه،

فهو العماد المعنوي للسماء، و الدار الدنيا جارحة من جوارح جسد العالم الذي الإنسان روحه. و لما

كان هذا الاسم الجامع قابل الحضرتين بذاته صحت له الخلافة و تدبير العالم.»

سيد محمود الألوسى، روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٢٢٢ - ٢٢٣، دارالكتب

العلمية، بيروت، ١٤١٥ ق، الطبعة الاولى، تحقيق: على عبدالبارى عطية.

كما هو واضح ان الألوسى علاوة على تبيينه لشخصية الخليفة الالهى و انه مظهر و محل التجلى لكل صفات الله، يصرح ان هذه الخلافة الالهية فى الارض تدوم الى يوم القيامة و الانسان الكامل مصداق لخليفة الله تعالى. بناء على هذا الألوسى حسب هذه الآية المباركة يعتقد بوجود حجة و امام و خليفة الهى فى كل زمان، الذى هو الانسان الكامل و يجدر بالذكر ان الألوسى يبين دليل هذا المطلب و يعتقد ان الانسان الكامل و خليفة الله، هو روح العالم كله و هو عمد السماوات معنويا و لو لم يكن، لم يبقى من العالم شئ و خليفة الله هو الذى يستحق ادارة العالم كله.

٢- العارف الشهير عند اهل السنة، محيى الدين ابن عربى

هو ايضا ذيل هذه الآية الشريفة يصرح هكذا:

«خلق آدم عليه السلام الإنسان الكامل الأول، و الخليفة الأول، باليدين و على الصورة الإلهية: لما أراد

الله بالإنسان الخلافة و الإمامة بدأ بإيجاد العالم، و هياًه و سواه و عدله و رتبه مملكة قائمة، فلما استعد

لقبول أن يكون مأموما أنشأ الله جسم الإنسان الطبيعي و نفخ فيه من الروح الإلهي، فخلقه على صورته

لأجل الاستخلاف، فظهر بجسمه فكان المسمى آدم فجعله فى الأرض خليفة، و كان من أمره و حاله

مع الملائكة ما ذكر الله فى كتابه لنا، و جعل الإمامة فى بنيه إلى يوم القيامة، فالإنسان الكامل هو

المقصود الذى به عمرت الدنيا و قامت، و إذا رحل عنها زالت الدنيا، و مارت السماء، و انتشرت النجوم،

و كورت الشمس، و سيرت الجبال، و عطلت العشار، و سجرت البحار، و ذهبت الدار الدنيا بأخرها، و

انتقلت العمارة إلى الدار الآخرة، بانتقال الإنسان، ... و اعلم أن الله جمع لنشأة جسد آدم بين يديه فقال «لما خلقت بيدي» فإنه لما أراد الله كمال هذه النشأة الإنسانية جمع لها بين يديه، و أعطاهها جميع حقائق العالم، و تجلى لها في الأسماء كلها، فحازت الصورة الإلهية، و الصورة الكونية، و جعلها روحا للعالم و جعل أصناف العالم له كالأعضاء من الجسم للروح المدبرة له، فلو فارق العالم هذا الإنسان مات العالم، فالدار الدنيا جارحة من جوارح جسد العالم الذي الإنسان روحه، فلما قابل الإنسان الحضرتين بذاته (الحضرة الإلهية و الحضرة الكونية) صحت له الخلافة، و تديبر العالم ... و أنزله خليفة عنه في أرضه، و الخليفة معلوم أنه لا يظهر إلا بصفة من استخلفه، فلا مخلوق أعظم رحمة من الإنسان الكامل الذي هو مجلى حقائق العالم، فهو آخر نوع ظهر، فأوليته حق و آخريته خلق ...»

محيى الدين ابن العربي، رحمة من الرحمن فى تفسير و اشارات القرآن، ج ١، ص ٩٦، مطبعة نصر، دمشق، ١٤١٠ ق، الطبعة الاولى، تحقيق: محمود محمود غراب.

كما بيناه سالفا هذا الكلام لابن العربي يشتمل على كم نكتة:

الاولى ان نبي آدم عليه السلام خليفة الله تعالى و الامامة تبقى الى يوم القيامة فى ذريته؛

الثانية ان خلقة الخلق و العالم كان من اجل خلفاء الله و لم لم يكونوا، لم يبقى من العالم شئ و لساخت الارض

بأهلها؛

الثالثة ان خليفة الله عنده تمام الحقائق و المعارف و تتجلى فيه اسماء الله و صفاته؛

الرابعة ان ادارة العالم كله، باذن الله تعالى تقع فى يد خليفته؛

الخامسة حسب ان الله هو الموجود المجرد المحض، لم تستطيع المخلوقات ان ترتبط معه مباشرة و لابد ان

يكون واسطة بين الناس الذى يكون من جانب الاهى و ملكوتى و من جانب مخلوق و هذا الواسطة خليفة الله الذى

يوجد فى كل فترة من الزمن.

كذلك يتبين بوضوح انه على اساس تصريح ابن العربي، لم يمكن ان يكون خليفة الله فى العالم، انسانا عاديا؛ بل له شخصية عظيمة القدر بشكل حتى ان الله تعالى خلق الخلق من أجله و لولاه لساخت الارض بأهلها.

ابن العربي بعد ذكر هذا البحث المهم و الدقيق، يدخل فى هذا المطلب ان خليفة الله فى كل فترة شخص واحد و لم يكن متعددا:

«الخليفة واحد: جمع الأنام على إمام واحد عين الدليل على الإله الواحد

قال الله عز و جل: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ) و قال تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) و قال سبحانه: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) و قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما و قال صَلَّى الله عليه و سلم: [الخلفاء من قريش] و التقريش التقبض و الاجتماع، كذلك الإمام إن لم يكن متصفا بأخلاق من استخلفه جامعا لها مما يحتاج من استخلف عليهم و إلا فلا تصح خلافته، فهو الواحد المجموع.»

محيى الدين ابن العربي، رحمة من الرحمن فى تفسير و اشارات القرآن، ج ١، ص ١٠٧، مطبعة نصر، دمشق، ١٤١٠ ق، الطبعة الاولى، تحقيق: محمود محمود غراب.

ابن العربي فى إستمرار هذا الفصل يتعرض الى ان الخلفاء واحدا تلو الآخر يتواجدون فى الأرض و يصرح ان خلفاء الله فى الارض يأتون واحدا بعد الآخر و فى البداية كانوا هم الأنبياء عليهم السلام و بعدهم، خلفاء الله فى الأرض واحدا بعد الآخر:

«تتابع الخلفاء فى الأرض اعلم أن الله تعالى لما شاء أن يجعل فى أرضه خلفاء على من يعمرها من الإنس و الجان و جميع الحيوانات، و قدمهم و رشحهم للإمامة دون غيرهم من جنسهم جعل بينه و بينهم سفيرا و هو الروح الأمين، و سخر لهم ما فى السموات من ملك و كوكب سابح فى فلك، و ما فى الأرض و ما بينهما من الخلق جميعا منه، و أباح لهم جميع ما فى الأرض أن يتصرفوا فيه، و أيد هؤلاء الخلفاء بالآيات البينات ليعلم

المرسلون إليهم أن هؤلاء خلفاء الله عليهم، و مكنهم من الحكم في رعيتهم بالأسماء الإلهية على وجه يسمى التعلق، و شرع لهم في نفوسهم شرائع، و حد لهم حدودا، و رسم لهم مراسم، ... في منزلة الرسل خلفاء من عند الله، ... فمن هؤلاء النواب من يكشف الله عنه الغطاء فيكون من أهل العين و الشهود، فيدعو إلى الله على بصيرة، كما دعا رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، و لولا أن الزمان اقتضى أن لا يكون مشرع بعد رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لكان هؤلاء مشرعين، و إن لم يأتوا إلا بشرع رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، ... و لا يتمكن لهذا الخليفة المشعور به و غير المشعور به أن يقوم في الخلافة إلا بعد أن يحصل معاني حروف أوائل السور سور القرآن المعجمة، مثل «ألف لا م ميم» و غيرها الواردة في أوائل بعض سور القرآن، فإذا أوقفه الله على حقائقها و معانيها تعينت له الخلافة، و كان أهلا للنيابة، هذا في علمه بظاهر هذه الحروف، و أما علمه بباطنها فعلى تلك المدرجة يرجع إلى الحق فيها، فيقف على أسرارها و معانيها من الاسم الباطن إلى أن يصل إلى غايتها ... و لا يكون في الزمان إلا واحدا ... و هو الذي ينفرد الحق و يخلو به دون خلقه، فإذا فارق هيكله المنور انفرد بشخص آخر لا ينفرد بشخصين في زمان واحد، و ذلك العبد عين الله في كل زمان، لا ينظر الحق في زمانه إلا إليه.»

محيى الدين ابن العربي، رحمة من الرحمن في تفسير و اشارات القرآن، ج ١، ص ١٠٧ - ١٠٨، مطبعة

نصر، دمشق، ١٤١٠ ق، الطبعة الاولى، تحقيق: محمود محمود غراب.

كما هو واضح ابن العربي في هذا النص، يشير الى كم نكتة و يصرح هكذا:

الاولى ان الله تعالى خلق الخلق و ما في السماوات و الأرض من أجل خلفائه و اعطاهم القدرة و الاذن لادارة

الأمر و التصرف فيها؛

الثانية انه في المرتبة الاولى، هؤلاء الخلفاء هم انبياء الله الذين جبرئيل الامين عليه السلام واسطة بينهم و بين

الله؛

الثالثة انه بعد الأنبياء فى كل فترة لله تعالى خليفة فى الأرض كالانبياء اوتى العلوم و حقائق معارف الله و حتى يتمكن ان يأتى بشريعة لكن لأجل شرائط الزمان و المكان لم يوكل بهذه الأمور؛

الرابعة انه من علائم خلافته عن الله هى انه اعطى علم الظاهر و الباطن للحروف المقطعة من القرآن و بهذا العلم اطلع على حقائق العالم كله؛

الخامسة انه الحق يعرف بهذه الخلفاء فقط.

ملخص تصريحات ابن العربى

كما تبين محيى الدين ابن العربى، استدل بهذه الآية الشريفة و يعتقد ان الامامة تبقى فى الارض الى يوم القيامة و كل فترة لها امام واحد و حجة و خليفة فى الارض الذى هو انسان كامل و تتجلى فيه صفات الله.

٣- «حقى البروسوى» فى تفسير روح البيان

حقى البروسوى، من المفسرين عند اهل السنة ايضا، يصرح فى ذيل هذه الآية الشريفة ان لله لكل فترة خليفة فى الارض و به يحفظ العالم:

«اعلم ان الله تعالى يحفظ العالم بالخليفة كما يحفظ الخزائن بالختم و هو القطب الذى لا يكون فى

كل عصر الا واحدا فالبدء كان بآدم عليه السلام و الختام يكون بعبسى عليه السلام و الحكمة فى

الاستخلاف قصور المستخلف عليه عن قبول فيضه و تلقى امره بغير واسطة لان المفيض تعالى فى

غاية التنزه و التقدس و المستفيض منغمس غالبا فى العلائق الدنيئة كالاكل و الشرب و غيرهما و

العوائق الطبيعية كالاصاف الذميمة فالاستفاضة منه انما تحصل بواسطة ذى جهتين اى ذى جهة

التجرد وجهة التعلق و هو الخليفة ايا كان و لذا لم يستنبى الله ملكا فان البشر لا يقدر على الاستفادة

منه لكونه خلاف جنسه.»

اسماعيل حقى البروسوى، تفسير روح البيان، ج ١، ص ٩٤، دارالفكر، بيروت، الطبعة الاولى.

٤- المفسر الكبير عند اهل السنة القرطبي فى تفسير الجامع لاحكام القرآن

القرطبي من اشهر المفسرين عند اهل السنة يقول هكذا:

«الرابعة- هذه الآية أصل في نصب إمام و خليفة يسمع له و يطاع، لتجتمع به الكلمة، و تنفذ به أحكام

الخليفة. و لا خلاف في وجوب ذلك بين الامة و لا بين الأئمة إلا ما روي عن الأصم حيث كان عن

الشريعة أصم و كذلك كل من قال بقوله و اتبعه على رأيه و مذهبه، قال: إنها غير واجبة في الدين بل

يسوغ ذلك ... و دليلنا قول الله تعالى: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» [البقرة: ٣٠] و قوله تعالى: «يا

داوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ» [ص: ٢٦] و قال: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ» [النور: ٥٥] أي يجعل منهم خلفاء إلى غير ذلك من الآيات.»

الجامع لاحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب - القاهرة، ج ١، ص

٢٦٤.

كما هو واضح، القرطبي باستناده الى ثلاثة آيات من القرآن الكريم يثبت ان الامامة امر واجب و لازم و على

اساس القرآن الكريم، الله تعالى هو الذى يجعل فى الارض خليفة. فهم القرطبي من هذه الآية المباركة، لزوم

نصب الامام و الخليفة فى كل فترة، فهو تصريح ضمنى بدلالة الآية على الاستمرار. كذلك القرطبي يصرح ان

الذين لا يعتقدون بلزوم الامامة، أعينهم عمياء و لم يفهموا الشريعة.

٥- ابن كثير الدمشقى فى تفسير القرآن العظيم

ابن كثير الدمشقى، من العلماء المعتمدين عند اهل السنة و كذلك الوهابية و من المفسرين المشهورين عند

اهل السنة، فى تفسيره ذيل هذه الآية الشريفة فى البداية يذكر رأى الطبرى هكذا:

«قال ابن جرير: فكان تأويل الآية على هذا إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بالعدل

بين خلقي و إن ذلك الخليفة هو آدم و من قام مقامه في طاعة الله و الحكم بالعدل بين خلقه، و أما

الإفساد و سفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه ... و قد استدل القرطبي و غيره بهذه الآية على

وجوب نصب الخليفة ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه و يقطع تنازعهم و ينتصر لمظلومهم من

ظالمهم و يقيم الحدود و يزجر عن تعاطي الفواحش إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا تمكن

إقامتها إلا بالإمام، و ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.»

تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١، ج ١،

ص ٧٣.

ينبغي هنا تساؤلات من اخواننا اهل السنة:

هل كثير من خلفاء اهل السنة كانوا كما يقول الطبري لم يسفكوا دماء و لم يرتكبوا فسادا؟ هل هذا التأويل من

الطبري، لم يبين ان خلفاء الله هم فى مرتبة و منزلة عالية من المعنوية و مقام الروحانية حتى يحكموا فى الارض

بدل الرب تعالى من دون ذرة من الإفساد؟ هل يزيد بن معاوية الذى حسب اعتراف علماء اهل السنة من الفاسقين

و قتل سبط رسول الله صلى الله عليه و آله و سيد شباب اهل الجنة عليه السلام و فى واقعة الحرة قتل جمعا كثيرا

من الصحابة و التابعين و أحلّ نسائهم ثلاثة أيام و رمى بيت الله الحرام بالمنجنيق، مصداق لهذا الكلام من الطبري

و هو الخليفة الذى شخصه الله و لم يسفك الدماء و لم يرتكب الفساد ذرة؟ و لو لم يكن يزيد خليفة الله، فحسب

معتقدكم من الخليفة فى زمن يزيد الذى على اساس هذه الآية من القرآن خلفه الله تعالى و اصطفاه؟ كذلك فى

زمن بقية الخلفاء من بني امية و السفاكين من خلفاء بنى العباس من الذى خليفة الله الذى اصطفاه؟ و حسب

دلالة هذه الآية الشريفة، الان من الذى هو خليفة الله فى أرضه الذى لم يرتكب الفساد و لم يسفك الدماء؟

٦- الزحيلي في تفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج

هو أيضا يقول مقالة تشبه كلمات القرطبي انه يصرح هكذا:

«ثم إن هذه الآية أصل في نصب إمام حاكم و خليفة يسمع له و يطاع، لتجتمع به الكلمة، و تنفذ به أحكام الخليفة. و لا خلاف بين العلماء في وجوب ذلك، إلا ما روي عن أبي بكر الأصم من المعتزلة أنه قال: الإمامة غير واجبة في الدين، بل يسوغ ذلك ... و أدلة الجمهور: قول الله تعالى: إني جاعل في الأرض خليفةً و قوله تعالى: يا داؤد إنا جعلناك خليفةً في الأرض [ص ٣٨ / ٢٦] و قوله عز و جل: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ» [النور ٢٤ / ٥٥] أي يجعل منهم خلفاء.»

الزحيلي وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت - دمشق، ١٤١٨ ق، ج ١، ص ١٢٩.

٧- ثناء الله المظهرى في تفسير المظهرى

هذا المظهرى من علماء اهل السنة يشير الى هذا المطلب في ذيل هذه الآية هكذا:

«المراد بالخليفة آدم عليه السلام فانه خليفة الله في ارضه لاقامة أحكامه و تنفيذ قضاياه و هداية عباده و جذبهم الى الله و اعطائهم مراتب قربه تعالى و ذلك لا لاحتياج من الله تعالى الى الخليفة بل لقصور المستخلف عليهم عن قبول فيضه و تلقى امره بغير وسط- و كذلك كل نبي بعده خليفة الله.»

التفسير المظهرى، المظهرى محمد ثناءالله، مكتبة رشديه، باكستان، ١٤١٢ ق، الطبعة الاولى، تحقيق: غلام نبي التونسى، ج ١، ص ٤٩.

لكن المظهرى لم يتكلم عن احتياج الأمة الى الخليفة بعد رسول الله ص، اما دليله يبين لنا ان بعد ختم النبوة ايضا، يستمر الاحتياج الى الخليفة؛ و لو ان هذا الخليفة لم يكن نبيا. دليل هذا المطلب هو انه من الصحيح ان فى زماننا هذا لم تنزل اوامر الله و بلّغ ما تحتاجه الأمة بيد النبي محمد المصطفى صلى الله عليه و آله، لكن الفيض اعم من اوامر الله و حسب تصريح المظهرى، لم تتمكن البشرية تلقى الفيض الالهى مباشرة، بناء على هذا لابد فى كل فترة من خليفة لله تعالى حتى يصل فيض الله الى الناس. كما صرحوا اليه من قبل بعض المفسرين من اهل السنة.

٨- ابن عطية الأندلسى فى تفسير المحرر الوجيز

هو أيضا من المفسرين فى القرن السادس عند اهل السنة، ينقل فى تفسيره عن ابن مسعود، صحابى رسول الله صلى الله عليه و آله، ان المراد من الخلافة فى هذه الآية، الخلافة عن الله تعالى فى الحكم بين الناس.

هو بعد نقل هذا الكلام عن ابن مسعود يقول هكذا:

«قال ابن مسعود: «إنما معناه خليفة منى فى الحكم بين عبادى بالحق و بأوامري يعنى بذلك آدم عليه السلام و من قام مقامه بعده من ذريته.»

ابن عطية الأندلسى، المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، دارالكتب العلميه، بيروت، ١٤٢٢ ق،
الطبعة الاولى، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافى محمد، ج ١، ص ١١٧.

البتة هذا رأى عن ابن مسعود نقله بعض من المفسرين عند اهل السنة ايضا. على سبيل المثال الماوردى فى تفسيره باسم النكت و العيون يصرح ان رأى ابن مسعود كان هكذا.

النكت والعيون (تفسير الماوردى)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردى، دار الكتب العلمية،
بيروت، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج ١، ص ٩٥.

٩- المفسر الكبير عند اهل السنة، ابن جرير الطبري في تفسير جامع البيان

الطبري في تفسير جامع البيان، يقول ذيل هذه الآية الشريفة هكذا :

«و الخليفة الفعيلة، من قولك: خلف فلان فلانا في هذا الأمر إذا قام مقامه فيه بعده.»

الطبري ابو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفه، بيروت، ١٤١٢ ق، الطبعة

الاولى، ج ١، ص ١٥٦.

ثم الطبري يطرح الاقوال المختلفة في معنى الخليفة الالهى، و بعد نقل آراء بعض التابعين يقول:

«و يحتمل أن يكون أراد ابن زيد أن الله أخبر الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة له، يحكم فيها بين خلقه بحكمه، نظير ما: حدثني به موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، و عن أبي صالح، عن ابن عباس و عن مرة عن ابن مسعود، و عن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم: «أن الله جل ثناؤه قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة قالوا: ربنا و ما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض و يتحاسدون و يقتل بعضهم بعضا.» فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود و ابن عباس: إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي و ذلك الخليفة هو آدم و من قام مقامه في طاعة الله و الحكم بالعدل بين خلقه و أما الإفساد و سفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه، و من غير آدم و من قام مقامه في عباد الله؛ لأنهما أخبرا أن الله جل ثناؤه قال لملائكته إذ سأله: ما ذاك الخليفة: إنه خليفة يكون له ذرية يفسدون في الأرض و يتحاسدون و يقتل بعضهم بعضا. فأضاف الإفساد و سفك الدماء بغير حقها إلى ذرية خليفته دونه و أخرج منه خليفته.»

١٠- نعمت الله النخجوانى فى الفواتح الالهية

هو أيضا من أهم المفسرين عند اهل السنة فى القرن العاشر من الهجرة، و لو انه لم يتعرض الى دلالة هذه الآية على الاستمرار، لكن يصرح هكذا:

«جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ إِي الْعَالَمِ السُّفْلَى خَلِيْفَةً مَرآةً مَجْلُوءَةً عَنِ صَدَأِ الْإِمْكَانِ وَ رِبِنِ التَّعْلُقِ لِاتَّجْلِ فِيهَا

بِجَمِيعِ أَوْصَافِي وَ أَسْمَائِي لِیَصْلِحَ خَلِيْفَتِي هَذَا مَفَاسِدَ عَمُومِ عِبَادِي وَ یَحْسِنَ أَخْلَاقَهُمْ نِيَابَةَ عَنِي ...»

نعمت الله بن محمد النخجوانى، الفواتح الالهية و المفاتيح الغيبية، دار ركابى للنشر، مصر، ١٩٩٩ م،

الطبعة الاولى، ج ١، ص ٢٧.

كما هو واضح لابد من الدقة فى انه و لو النخجوانى لم يصرح باستمرار وجود خليفة الله فى الأرض لكن استدلاله يشمل كل الازمنة؛ لأنه حينما يعيش الانسان على وجه الارض فيحتاج الى شخص لم يكن فيه أية مفسدة و يكون مصداقا لصفات الكمال الالهية و هو الانسان الكامل، يصلح مفاسد العباد و يحسن اخلاقهم و هذا الاستدلال لم يختص بما مضى و يجرى فى كل فترة و حسب المذ المتزايد فى عدم التقيد و عدم الاخلاق، فالاولوية اكثر بالنسبة الى زمن الانبياء عليه السلام ايضا و يجدر بالذكر ان توصيف النخجوانى من خليفة الله، يتحد مع رأى الشيعة فى هذا المجال انه يعتقد خليفة الله لابد ان يكون انسانا كاملا و تتجلى فيه اسماء الله و صفاته.

المطلب الثانى انه على اساس تصريح النخجوانى، خليفة الله هو الذى لم يتورط فى ظلمات عالم الامكان و لم يتخبط فى التعلقات و مصداق لتمام اسماء الله و صفاته. ظلمات عالم الامكان تشمل كل انواع الخطأ، السهو، الذنب، الشرك و ... و ليس لخليفة الله أن يرتكب أى منها و هو بمعنى ان خليفة الله لابد ان يكون معصوما و الا اذا يخطأ فهو متورط فى عالم المادى. من جانب آخر حسب تصريح النخجوانى، خليفة الله، مصداق لتمام اسماء الله و صفاته و تتجلى فيه تمام صفات الله المتعال، و من الواضح انه من أهم صفات الله ان لا يرتكب الخطأ و السهو و هذه الصفة

من صفات الله و حسب قول النخجوانى لابد ان تتجلى فى خليفة الله و هذا معنى العصمة و لابد من الالتفات الى ان العصمة و تجلّى صفات الله فى شخص، امر باطنى و لم يعلم به الا الله تعالى.

بين علماء اهل السنة فخر الرازي ايضا يصرح بهذا المطلب:

١١- فخر الرازي فى كتاب المطالب العالية

فخر الرازى حول العصمة و الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يقول هكذا:

ثم إن ذلك الإنسان الواحد هو أكمل الأشخاص الموجودين في ذلك الدور كان المقصود الأصلي من هذا العالم العنصري، هو وجود ذلك الشخص. ولا شك أن المقصود بالذات هو الكامل....[فثبت: أن ذلك الشخص هو الكامل وثبت: أن ذلك الشخص] هو القطب لهذا العالم العنصري، و ما سواه فكتبع له جماعة من الشيعة الامامية يسمونه بالامام المعصوم. وقد يسمونه بصاحب الزمان ويقولون بأنه غائب. ولقد صدقوا فى الوصفين ايضا لأنه لما كان خاليا عن النقائص التى هى حاصلة فى غيره كان معصوما من تلك النقائص وهو ايضا صاحب الزمان.

فخر الرازي، المطالب العالية، محقق: احمد حجازي السقاء، ناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٨ ص ١٠٦.

رأى المفسرين عند الشيعة

اما المفسرون عند الشيعة ايضا، فى ذيل هذه الآية ذكروا ان الآية تبين ان الله تعالى بشكل مستمر يجعل على وجه الارض خلفاء هم حجج الله و يحكمون بالحق و العدالة فى الارض و خليفته و الواسطة فى اىصال الفيض الى الناس. هذا المطلب يوجد فى الروايات التى تنقلها الشيعة ذيل هذه الآية. على سبيل المثال نقل كلام شخصين من المفسرين عند الشيعة:

١- آيت الله مكارم الشيرازى فى تفسير الأمل

هو يقول فى هذا المجال هكذا:

و بهذه المناسبة تقول الآية الاولى: **وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**،

و الخليفة هو النائب عن الغير. أما هذا الغير الذي ينوب الإنسان عنه فاختلفت فيه أقوال المفسرين

منهم من قال إنه خليفة الملائكة الذين كانوا يسكنون من قبل على ظهر الأرض. و منهم من قال إنه خليفة بشر آخرين أو موجودات اخرى كانت تعيش قبل ذلك على الأرض.

و ذهب بعضهم إلى أن الخليفة إشارة إلى أن كل جيل من البشر يخلف الجيل السابق.

و الحق أن المقصود بالخليفة هو خليفة الله و نائبه على ظهر الأرض، كما ذهب إلى ذلك كثير من المحققين، لأن سؤال الملائكة بشأن هذا الموجود الذي قد يفسد في الأرض و يسفك الدماء يتناسب مع هذا المعنى، لأن نيابة الله في الأرض لا تتناسب مع الفساد و سفك الدماء.

مسألة «تعليم الأسماء» لأدم التي سيأتي شرحها، و هكذا سجود الملائكة لأدم من أدلة ما ذهبنا إليه في تفسير معنى الخليفة.

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يشير أيضا إلى هذا المعنى في تفسير هذه الآيات إذ يقول: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَّمَ آدَمَ أَسْمَاءَ حُجَجِهِ كُلِّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ وَ هُمْ أَرْوَاحٌ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بِأَنْتُمْ أَحَقُّ بِالْخِلاَفَةِ فِي الْأَرْضِ لِتَسْبِيحِكُمْ وَ تَقْدِيسِكُمْ مِنْ آدَمَ فَقَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَقَفُوا عَلَى عَظِيمٍ مِنْزَلَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ ذَكَرَهُ فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونُوا خِلاَفَاءَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَ حُجَجِهِ عَلَى بَرِيَّتِهِ ثُمَّ غَيَّبَهُمْ عَنْ أَبْصَارِهِمْ وَ اسْتَعْبَدَهُمْ بِوَلَايَتِهِمْ وَ مَحَبَّتِهِمْ وَ قَالَ لَهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ».

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١، ص: ١٥٦ آيت الله مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ناشر: مدرسة الامام على بن ابي طالب .مكان المطبعة: قم. سنة الطبعة: ١٤٢١ ق .الطبعة الاولى.

٢- القمى المشهدى فى تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب

هو الذى من المفسرين فى القرن الثانى عشر من الشيعة، يبين بصراحة ان المراد من الخلافة فى هذه الآية خلافة الله، و ان الله المتعال لم يحتاج الى خليفة و علة احتياج الناس الى الخليفة هى نقصان و قصور الناس و المخلوقات فى قبول الفيض الالهى و من اجل هذا الدليل نحتاج الى وجود الخليفة و الحجة لله تعالى و كما هو واضح، فلم ينحصر هذا بزمن خاص و فى كل فترة البشرية من اجل انها مادية و ... تحتاج الى واسطة من قبل الله فى اىصال الفيض الى الناس:

«و الاحتياج الى الخليفة، انما هو فى جانب المستخلف عليه، لقصورهم عن قبول فيضه، بغير وسط. و

لذلك لم يستنبئ ملكا.»

تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب، القمى المشهدى محمد بن محمدرضا، انتشارات وزارة الارشاد الاسلامى، طهران، ١٣٦٨ ش، الطبعة الاولى، تحقيق: حسين درگاهى، ج ١، ص ٣٢١.

النتيجة

قد تبين من خلال المطالب المذكورة بوضوح ان نصب الخليفة و اصطفاؤه فى الارض على الله المتعال و لابد ان يكون الخليفة بنصب من الله المتعال و هذا من الصفات التى تعتبره الشيعة للإمام و الخليفة الالهى فى كل فترة و زمان و ان تخلوا الارض من وجوده لساخت الارض باهلها علاوة على ان الشخص هو خليفة الله على وجه الارض فلا بد ان يكون معصوما و الله هو الذى يعلم من الذى معصوم مطلق و مصداق لكل صفاته.

و من الله التوفيق

فريق الإجابة عن الشبهات مؤسسة الإمام ولي العصر (عج) للدراسات العلمية